السبيرتسم

وعلاقتهُ بالجنون

(١)

ظهرت مسئلة السبيرتسم من ستين سنة وكثر فيها البحث والجدل وادعى انصارها معرفة اسرار ما وراء الطبيعة ووسائل الاتصال بعالم الارواح واجتهدوا في نشر تعاليمها وتأييد مبادئها . وادعاها ايضاً قوم في الشرق عالم العجائب ومسرح الارواح فلم يخطُ هذا العلم ان صح ان نسميهُ علماً رغم اجتهاد دعاتهِ خطوة واحدة الى الامام من نشأتهِ الى الآن بل بقي على ما كان عليهِ من الغموض والابهام فلم يجلُ غامضاً ولا كشف سرّاً طبيعيّاً . وبذل المقتطف مجهودهُ من عهد بعيد في كشف النقاب عن في اعمال اصحاب هذا العلم من الغش والاحتيال وفي تفسير بعض ظواهرهِ عمليّاً . ولو جُمع ما كتب في هذا الموضوع لملأ صفحات كثيرة من حجم المقتطف الاَّ ان الكتابات كانت متفرقة وفي اوقات متباعدة فلم يلمّ الجمهور بها وبقيت المسائل ترد اليهِ بين حين وآخر فيجيب عليها على قدر ما يسمح بهِ وقتهُ ومجالهُ . فرأيت ان اجمع في مقالة واحدة كل ما تهم معرفتهُ في هذا الموضوع ليلمّ بهِ كل من يجب الوقوف على اسرارهِ . واستندت في ما كتبت الى ثقات درسوا الموضوع درساً دقيقاً والموا بهِ من كل جهاتهِ . ويؤيد الثقة بهم كونهم اطباء اخصائيين بالامراض العصبية ومديري ملاجئ المجاذيب والمجانين فاذا بحثوا فيهِ سار بحثهم على القواعد العلمية ومطابقة الحوادث التي تقع تحت نظرهم على احوال الوسيط او الشخص السبيرتي

يجب ان نعرف اولاً ان السبيرتسم واستحضار الارواح هو غير المانيتسم (التنويم المغنطيسي) ففي الاول يستولي اوهام على اصحاب الدخن العقلي وبعض اصحاب الامراض العصبية كما سنرى . والثاني حقيقة علمية يعترف بها كبار العلماء ويستعملها اطباء اخصائيون لشفاء بعض الامراض العصبية . وفي المانيتسم يسترلي المنوِّم (بالكسر) على ارادة المنوَّم (بالفتح) فيجري اوامرهُ الفعالية بدون ان يدرك انهُ مسوق الى العمل بتأثير عامل خارجي . والشخص القابل للتنويم يكون دائماً ضعيف الارادة منحرف المزاج العصبي واحياناً منحط الادراك والعقل فهو لذلك يصح ان يكون وسيطاً ملائماً لاعمال السبيرتسم فاذا حضر قوم جلسة تنويم مغنطيسي وادعى المنوَّم كشف الاسرار ومعرفة الماضي والمستقبل فذلك

تدجيل غايتهُ التمويه والكسب لان اصحاب العلم الجديرين بالثقة كالاطباء الاخصائيين ومديري مستشفيات الامراض العصبية لا يدَّعون هذه الدعوى بل ينكرونها كل الانكار. وقد تيسر لنا حضور جلسات كثيرة من التنويم المغنطيسي فعرفنا ما فيها من الحقائق وتحققنا فساد دعوى معرفة الغيب بامتحانات لا تقبل الريب لاننا كنا نلقي الاسئلة على المنوَّم وهو هنا بمنزلة الوسيط في السبيرتسم فيجيب عليها اجوبة تافهة او غير سديدة. وبيان ذلك ان المنوِّم يوجب ان يقف على ما تضمرهُ فاذا عرفهُ اجاب المنوَّم جوابًا ينطبق على السؤال وذلك لان المنوِّم يستولي على ارادة المنوَّم وذهنهِ فيجعلهُ خاضعًا لارادتهِ ومن ثم فهو يستطيع ان يوحي اليهِ الضمير فيجيب هذا عليهِ كما يشاء. مثال ذلك ان تضمر ان لك ابنًا في الحرب على خط النار وانك تريد ان تعرف عنهُ شيئًا وانت ليس لك ابن هناك فينبئك المنوَّم ان حالة ابنك هي كذا وكذا فيتضح من ذلك انهُ لا يعرف شيئًا من الغيب وان لا اتصال لهُ على الاطلاق بعالم روحاني وان المنوِّم هو الذي كشف لهُ ضميرك فاجاب على ما تحب ان تعرف باعتقاد انك صدقت بان لك ابنًا على خط النار. وقد اسهبت الكلام على هذا الموضوع في مقالة ادرجت في المقتطف فلا حاجة للرجوع اليهِ واطالة البحث فيهِ

واما السبيرتسم فعمل مستقل يقوم بظواهر خصوصية وفي ظروف خصوصية ويدعي اصحابهُ ان الارواح تجسم وتعود الى هذا العالم ولكن لمدة قصيرة تكون فيها شديدة التأثير

وتحصر ظواهر السبيرتسم في اعمال قليلة وهي سماع اصوات القرع وحركة الطاولة وظهور الشبح والكتابة. ويقولون ان الارواح تخاطبهم بهذه الوسائل فالاصوات تصدر من الهواء والطاولة ومن رفس الارض برجل الطاولة وهي واضحة ومنسقة ولكل منها معنى خاص. والشبح يظهر بصورة خيال تجللهُ ضبابة ولكنهُ واضح الى ان يمكن تصويرهُ بالفوتوغراف. والطاولة ترتفع عن الارض وتنتقل الى الامام والوراء والجانبين وتقلب في الهواء لا يؤخرها ناموس الجاذبية العام عن القيام بهذا العمل الخارق. والكتابة تحصل بحركة يد الوسيط بدون ان يعرف غالبًا ما هي او ما هو معناها. فبهذه الظواهر او بهذه اللغة المصطلح عليها تخاطب الارواح العالم الخارجي وعلينا ان نفك رموزها لنكشف لنا اسرار المسئلة

لا يجوز انْ نسفه بلا برهان علمي او دليل سديد آراء اصحاب السبيرتسم او ننكر مبادئهم الغريبة وان قامت اركانها على رمل تسفيهِ الرياح بل يجب ان نفرض ان مسئلة السبيرتسم تقبل البحث والجدل مثل كل المسائل العلمية لان كل علم ما عدا علم الحساب وما يتفرع عنهُ فيهِ نظريات تحسب اليوم حقيقةً وتنقض غدًا فيجب ان نلتفت اليهِ التفاتنا الى

المسائل العلمية وان كنا لا نرى فيهِ من الاهمية سوى ما بلغ من سلطته على افكار العامة حتى لم يبقَ لانصاره حاجة الى التبشير بهِ ودعوة الناس اليهِ لان الناس يأتون اليهم مختارين من كل ناحية وصوب ويتهافتون على حضور الجلسات و يملأون قاعات التشخيص واكثرهم اقبالاً اصحاب الهوَس الديني لانهم يشاهدون من العجائب ما ينطبق على ما الفوا تصديقهُ والاعتقاد بهِ من التعاليم الدينية فاذ شاهدوا في جلسات السبيرتسم غرائب وعجائب يقصر ادراكهم عن تفسيرها وهي تشبه في ظاهرها العجائب التي رسخ فيهم الايمان بها مالوا الى الاعتقاد بصحتها ووجهوا حياتهم نحو هذا المعتقد الجديد . على ان الحياة تجد في سيرها الى امور كثيرة كالحاجة والاشغال اليومية والحزن والفرح الخ والى الامور الشخصية كالاطباع والاميال والامزجة فيتالف من مجموع هذه الامور مركب فاعلي وانفعالي يدفع الى حب الاستطلاع والرغبة في كشف الاسرار والغوامض . والسبيرتسم يستولي على الذهن عند ما تكون المعدة ملآنة والقلب خالياً والجسم مستريحاً والمجال واسعاً للافتكار فيهِ فهذا هو مجال النظر في مبدإ السبيرتسم وهو على ما نرى قليل الاهمية من حيث الفلسفة الشخصية وعدم وجود ضرر منهُ على الحياة او على النظام الاجتماعي . وعلى هذا النحو سار العالم من ستين سنة الى الآن يحسب السبيرتسم اكتشافاً جديداً لا توازيهِ الاكتشافات الكهربائية واشعة اكس والتلغراف اللاسلكي والطيارات الهوائية والغواصات التي هي العوامل الحقيقية للرقي والمقدمات الصحيحة للانقلابات الاجتماعية

يذهب الناس في تأويل مسائل السبيرتسم بحسب عقولهم واميالهم وتربيتهم وغرائزهم وينقسمون فيهِ الى ثلاثة اقسام : القسم الاول فريق المتعلمين الذين يشكون في صحتهِ ويمعنون النظر في وسائلهِ فاذا ارتابوا في واحدة او ظهر لهم الخداع فيها بذوها بجملتها واكثرهم لا يكترث لهُ كعلم بل يذهب الى قاعة الجلسة كما يذهب الى قاعة التمثيل فلا يعلق في ذهنهِ منها سوى ذكر وقائعها . ووجود هذا الفريق في الجلسة يكرههُ اصحاب السبيرتسم وكثيراً ما يحاولون توقيف الجلسة لاعذار يتخذونها واذا فشلوا في حضورهم حسبوا فشلهم من قبيل فشل الكيماوي بين احياناً بامتحاناتهم الكيماوية

والقسم الثاني فريق العلماء الذين يميلون الى البحث والتنقيب فيبحثون في السبيرتسم بحثاً ينطبق على القواعد العلمية ومنهم فلاماريون الفلكي المشهور ولكن ابحاثهم لم تأتِ بنتيجة رغم ما بذلوا من الجهد العظيم ورغم ما لهم عليهِ من المكانة في العلم ومن دقة النظر وصدق الامتحان لان المسئلة على ما ظهر الى الآن لا تقبل التحقيق حتى ان فلاماريون نفسهُ نصير

السبيرتسم العنيد اضطر الى الاعتراف بان السبيرتسم لم يكشف له غامضاً من غوامض الطبيعة وان ليس لظواهره قاعدة يصح ان تكون قياساً لغيرها

والقسم الثالث فريق العامة الذين يترددون الى جلسات السبيرتسم لمشاهدة الغرائب المدهشة التي تخلب البابهم وتبهر ابصارهم وهم ليسوا على علم يؤهلهم لفهمها ومعرفة اسبابها وردها الى القواعد العلمية فيميلون الى تصديقها و يتسبون ما لا يفهمونهُ طبيعيًّا الى خوارق الطبيعة قياساً على خرافات الاقدمين واعتقادهم بغرائب الجن وخاتم المارد و بساط الريح وقبع الاختفاء الخ

ظواهر السبيرتسم

تجري الامتحانات في غرفة مظلمة و يقف الوسيط شاخص البصر ومحدقاً الى الطاولة ترجمان الارواح ينتظر الشروع في عملهِ وقضاء مهمتهِ . والحضور مجانين وعقلاء ينتظرون الشروع في العمل بشغف وفروغ صبر كأن على رؤوسهم الطير فترتجف القلوب وتشخص الانظار وتضطرب الاعصاب و يأخذ التأثير مأخذهُ في كل منهم ولاسيما النساء لان فترة الانتظار للوقوف على ما يخبئهُ لهن المستقبل اشد تأثيراً فيهن مما هو بعد حصولهِ . ومن البديهي ان يحصل هذا الانفعال لمن يقف عند حافة المجهول وهو لا يعلم ما ستفاجئهُ بهِ الارواح من الخطر او الحذر او كشف المستور من يد ذلك الوسيط او تلك الطاولة التي هما قليل ستهتز وتتحرك وترتفع وتدور وتجاوب على ما يلقى عليها من الاسئلة . فحضور الجلسة في بدايتها عظيم الاهمية والشأن لان الانفعال المتواصل يبلغ في نهايتها اشدهُ ويعم كل الحاضرين . والظواهر العصبية على ما تكون عليهِ من القوة والضعف في الشخص تظهر في البداءة ومنها يحكم على ميل الشخص ومزاجهِ واستعدادهِ ومن ثم على تأثير السبيرتسم فيهِ

يشرع الوسيط في العمل وحدهُ او بمساعدة شخص او شخصين فيضع يدهُ على الطاولة ثم يضع مثلهُ الجلة ايديهم و يتلوهم بقض الحاضرين حتى تلامس الاصابع وتتم الحلقة فتأخذ الطاولة بعد ذلك في الحركة التي يشعر بها الممثلون اولاً لانهم يشعرون بلغف الاهتزازات واضعفها ثم تزيد قوةً ووضوحاً حتى يشعر بها الجميع لان الطاولة اذ ذاك تأخذ في التقدم والتأخر والارتفاع والهبوط . ثم يضع الوسيط يدهُ بيد احد الحاضرين و يضرب بالاخرى في الهواء ضربةً او اثنتين او ثلاثاً او اربعاً فتسمع اصوات هذه الضربات من جهة الطاولة وهي اصوات صماء تشبه اصوات الصدمات الكهربائية . ومما يستحق الذكر هو ان رجل الوسيط لا تلامس في هذا العمل ارجل الطاولة بل تكونان بعيدتين عنها ثم يضع الوسيط وبعض الحاضرين ايديهم على الطاولة فتسمع الاصوات من جوانب الغرفة وتظهر اقوى من الاصوات السابقة

تعزى هذه الاصوات الى طرق شتى من الغش والاحتيال الاَّ ان اصدق تعليل لها ما جاء به الدكتور مارسل ڤيولت الذي درس الموضوع درساً دقيقاً فقال ان ذلك القرع المنظم هو اصطلاح نؤدَّى به معانٍ خصوصية فان قرعتين مثلاً تعنيان السلب وثلاث قرعات تعني الايجاب وان تنسيقها يدل على بعض حروف الهجاء فيؤلفون من الحروف كلمات يفهمها الوسيط فيؤدي فحواها للمستفيد

طلب الدكتور مارسل ڤيولت الاتصال بالارواح فجلس حول الطاولة وكان بقربها كرسيّ ثقيل من نوع « البوف » بعد ستين سنتيمتراً عن رجل الوسيط ليتأكد عدم احتيال الوسيط على استخدامه فتحرك الكرسي تحت رجله حركة انزلاقية ذهاباً واياباً وكان اذا دفعهُ برجله يرجع من نفسه اليه ثم تحرك الكرسي خمس مرات او ستًّا حركة قوية ارتفعت الطاولة بمدها بدون ان يمسها احد وسقط ما عليها وتبعثر . ذلك لان الكرسي وان كان ثقيلاً ينزلق بسهولة على ارض الغرفة ويسهل دفعهُ بالرجل وجرُّهُ بخيط من الدوبارة . وكانت الستائر تنفخ على طولها كما لو نفختها ريح عاصفة بدون ان يمسها الوسيط بيده او برجله وترتفع احياناً فوق رؤوس الحاضرين وتجلّلهم . ثم وضع يدهُ في احدى يدي الوسيط ووضع احد اصحابه الملاكين يدهُ في الاخرى فشعرا كلاهما بشخص موثَّم على خاصرتيهما وكتفيهما ولم يريا اليد التي لمستهما بحيث يجوز ان يقال انها يد شخص غير منظور . وقد سمع اصوات القرع التي تصدر من الطاولة ورأى الطاولة تتحرك وتعلو وتنزل وتضرب الارض بارجلها ووقف على الاسئلة التي تلقى عليها وعلى الاجوبة التي تجاوب بها فتحقق بطول البحث ودقة النظر ان حركات الطاولة مع اصوات القرع الصادرة منها اشارات مصطلح عليها للدلالة على كلمات او جمل . وطريقتهم في ذلك ان يبدأوا بكلمة يسرعون الى كتابتها تحاشياً لضياع الوقت فاذا لم تقرع تلك الكلمة بالغاية او لم يفهم المقصود منها اعترضت الطاولة وظهر اعتراضها بحركات خصوصية كانها تتبرَّم فتعطي كلمة ثانية وثالثة الى ان يحصل الاعتقاد بوجود عنصر روحاني

وشاهد في بعض اختباراته الشيخ او اجزاء منهُ كاليد والساعد والرأس والجذع . قال : حضرت وصديقي فونتناي جلسة في مونفور لاموري فرأى صديقي شيخاً بيني وبينهُ واما انا فلم اره لانا كنا متقابلين نراقب اوسابيا الوسيط المشهورة ، وكل منا ممسك بيد من يديها . فتبادلنا محلينا فظهر لي حينئذٍ الشيخ وهو رأس رجل ذي لحية كثة الاَّ انهُ لم يكن جلياً وتبادر الى ذهني انهُ خيال شخص يروح ويجيء امام مصباح احمر ولهذا لم اتمكن من مشاهدته

من محلي الاول لان المصباح كان ورائي فظهر الشبح بيني وبين صديقي وبما انهُ لم يكن واضحاً وجليًّا سألت هل يسمح لي بلمس تلك الهيئة وللحال شعرت بلمس لحية ناعمة جداً لظاهر يدي

ظهرت كل تلك الظواهر بحضوري في القاعة التي كانت تزيد ظلاماً شيئاً فشيئاً بطلب الوسيط والحاضر لان الارواح في زعمهِ لا تظهر الاَّ اذا جعلت نفسها في مستوى الطبائع البشرية فتخاطبهم بطريق اعضاء الحس والسمع والبصر . رأى الطاولة تتحرك وترتفع وتقرع قرعاً متباينًا وفهم رموز القرع من نوع الاجوبة التي يجاوب بها على الاسئلة وظهر لهُ انها اجوبة تافهة لا قيمة لها ولا فائدة منها لان ڤيكتور هيجو الذي كانت روحهُ تستحضر كان يغلط في الاملاء وقواعد في الانشاء . ولكنهُ لم يكترث لها كثيراً لان غايتهُ من البحث الوقوف على ظواهر الحياة بعد الموت لعلَّ في الطاولة سرًّا لم يسبر غورهُ فيكشف

وفي الواقع ان المسئلة بنفسها قليلة الاهمية ما خلا ما يكون من فعلها احيانًا في توليد الانفعالات لان العامة الجاهلة اذا وقفت على تعليل مسئلة من المسائل الطبيعية تعليلاً علميًّا لم تعد تلك المسئلة تؤثر فيها تأثيرها السابق . فالصاعقة كانت سابقًا ترعب الناس عموماً اما الآن فلا تخيف احداً لانهم وان كانوا لا يعرفون شيئاً عن الكهربائية فقد عرفوا ان الصاعقة تحصل بسلة قوات طبيعية وهي مع ذلك لا تزال تقتل الآن كما كانت تقتل سابقًا . واذا عرف ان نور الشفق حادث طبيعي يرح من الاذهان انهُ نذير بالشر . وما من احد من اقاصي الريف يستغرب الآن سير المركبة بلا خيل وقس عليهِ . فالعلم الصحيح لا يثير النفسانيات والعلم غير الصحيح يؤثر فيها كثيراً ويشوش العقل بتعليل المسائل على ما هو فوق الطبيعة ولهذا فالشبح الذي يظهر في تمثيل البيرتسم يؤثر ظهورهُ الغريب في الاشخاص المعرضين للاختلاط الذهني والمذيان ويعرضهم للتعاسة والشقاء في حياتهم العقلية والعملية

يتضح مما سبق بيانهُ ان ظواهر البيرتسم تصدر من شخص غير منظور ويتلقنها الوسيط بالرموز ويطلق عليها اسم الخارجة لانها ليست منهُ وخارجة من عمله الذاتي ولكن من الظواهر ما يتولد في الوسيط نفسهِ ويصدر منهُ بدون ان يتلقنهُ من مصدر خارجي وتسمى بالباطنة وهي اكبر شأناً من تلك واكثر اهمية لانها تستلزم استشارة الارواح بصرعة وتدل على بلوغ الوسيط درجة الكمال وتظهر فيهِ بالكتابة والتكلم والملابسة

اما الكتابة فهي ان يكتب الوسيط احرفًا او كلمات او جملاً يتلقنها من الروح من غير ان يكون لدماغهِ او فكرهِ دخل في تأليفها ومن غير ان يكون تحت تأثير النوم المغنطيسي . وتعرف هذه الحالة في الفلسفة العقلية بالظاهرة الروحانية وفي الطب بازدواج الشخصية لانها

تحدث من ارتجاج العقل الذي يحصل عقيب التأثر والانفعال الشديدين وتظهر في المجاذيب اصحاب المذيان وفي المجانين عند ما يستقل المركز الدماغي بوظيفة الكتابة بالعمل

واما التكلم فهو ان يتكلم الروح بفم الوسيط وهو حالة من ازدواج الشخصية اوضح واتم من الحالة السابقة لان عضلات التكلم اقل خضوعاً للارادة من عضلات الكتابة فيكون الارتجاج العقلي فيه اكثر ظهوراً وتظهر هذه الظاهرة في الوسيط من غير ان يكون في حالة الجولان النومي الذاتي او المحدث . ويظهر مثلها في الامراض الدماغية وفي المجاذيب المصابين بالمذيان المعروف بهذيان الحركة الكلامي

واما اللابسة فهي آخر حد لازدواج الشخصية لان الروح تلابس الوسيط وتسكن فيه وتكتب بيده وتتكلم بفيه وتتسلط على عضلات وجهه تتحكم في سحنته وملامحه وحركاته بحيث يصير بحالة تختلف كثيراً عن حالته السابقة تختلف لا يشبه خطهُ السابق ويصير للامحه معانٍ غير مألوفة ويحصل ذلك في حال النوم واليقظة . والوسيط يتعب منهُ تعباً زائداً قد لا يخلو من الخطر ويحصل مثل ذلك لبعض المجاذيب ويظهر فيهم في اوقات متقطعة وقد يكون طويل المدة او مستمراً اذا كانت العلة الدماغية فيهم مزمنة

هذه اهم الظواهر السبيرتية وهي غريبة وخارجة عن المألوف واذا لم تفسر تفسيراً علمياً صحيحاً كانت محل الدهشة والاستغراب . فحصول ما يماثلها في الاختلاط الذهني ينقض غرابتها ويدل على رابطة القربى بينها وبينهُ اذ لا ريب ان الخاطر التي سبق شرحها تحدث في المراكز الحسية العمل الذاتي الانفعالي (automatisme) لان رؤية الاشباح وسماع اصوات القرع المتباينة تستوجب استرعاء اعضاء الحس الظاهرة ثم استرعاء مراكزها الدماغية ثم توجيه قوى العقل لادراكها وتفسيرها . اما الحركة والصوت فيمكن تفسيرهما بالسبب الذي احدثهما واما العمل الذاتي الانفعالي فيفسر تفسيرهُ فيردُّ الى عمل الارواح . وهذه هي نقطة الاشتراك بين الظاهرة السبيرتية وبين الاختلاط الذهني فهذا يشتق من تلك والاستعداد الشخصي واسطة الاتصال بينهما لان اصحاب الاستعداد تشتد رغبتهم في جلسات السبيرتسم للاتصال بالارواح والوصول الى حالة من احوال الوسيط ولاسيما حالة العمل الذاتي الانفعالي كالكتابة فاذا بلغوها كانت عاقبتها عليهم الاختلاط الذهني

الدكتور
امين ابو خاطر